الخيريّة في اللّيالي والأيّام من منظور الشّرع

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد؛

فإنّ ليلة القدر هي أفضل اللّيالي على الإطلاق؛ لما أخبر الله -سبحانه وتعالى- أنّها خير من ألف شهر، وأنّها مباركة، وأنّه يفرق فيها كلّ أمر حكيم، وأنّها شرّفت بنزول القرآن؛ فقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (3) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (4) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (5) سورة القدر. وقال تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4) سورة الدّخان. وقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه البخاري.

أمّا المفاضلة بين ليلة القدر وليلة الإسراء: فقد بيّن أهل العلم كابن تيميّة وابن القيّم بأنّ ليلة الإسراء أفضل في حقّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-، وليلة القدر أفضل في حقّ الأمّة، فحظّ النّبيّ -عليه الصّلاة والسّلام- الّذي اختصّ به ليلة المعراج منها أكمل من حظّه في ليلة القدر. وحظّ الأمّة من ليلة القدر أكمل من حظّهم من ليلة المعراج، وإن كان لهم فيها أعظم حظّ، لكنّ الفضل والشّرف والرّتبة العليا إنّما حصلت فيها لمن أسري به، صلّى الله عليه وسلّم.

أمّا خير الأيّام: فهي أيّام العشر من ذي الحجّة؛ لما ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال فيهنّ: «مَا العَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ؟» قَالُوا: وَلاَ الجِهَادُ؟ قَالَ: «وَلاَ الجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ» رواه البخاري. ولأنّ فيها يوم الحجّ الأكبر، وهو يوم عرفة، الّذي فيه تغفر الذّنوب، وتعتق الرّقاب، فقد صحّ عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّ (صَوْمَ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ الْمَاضِيَةَ وَالْمُسْتَقْبَلَةَ) رواه النّسائي. وقال عليه الصّلاة والسّلام: "مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟" رواه مسلم. وكذلك يوم النّحر، قال صلّى الله عليه وسلّم: «إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ»

رواه أبو داود. قال الحافظ ابن حجر في الفتح: (والّذي يظهر أنّ السّبب في امتياز عشر ذي الحجّة لمكان اجتماع أمّهات العبادة فيه، وهي الصّلاة والصّيام والصّدقة والحجّ، ولا يتأتّى ذلك في غيره.

وبناء على ما تقدّم؛ فإنّ العشر الأواخر من رمضان أفضل من جهة اللّيل؛ لأنّ فيها ليلة القدر، والعشر الأوّل من ذي الحجّة أفضل من جهة النّهار؛ لأنّ فيها يوم عرفة، وفيها يوم النّحر، وهذا هو المعتمد عن المحقّقين من أهل العلم.

والله أعلم